اسم المادة: اسم الله الرؤوف

من سلسلة: الحُسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسـم المادة: اسم الله الرؤوف
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-169272.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في الحديث الصحيح: أنه قدِم على النبي –صلى الله عليه وسلم–سبيٌ، فإذا امرأة من السبي جاءت تسعى، إذ وجدت صبيًا بين السبي، فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، كان مشهدًا ملفتًا للأنظار، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– مُوظفًا هذا المشهد في درس إيماني نريد أن نعيشه كما عاشه الصحابة –رضي الله عنهم– معه –صلى الله عليه وسلم– في هذا الموقف، فعيشوه بمشاعركم، قال: "أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟ فقال الصحابة: لا والله يا رسول الله، وهي تقدر ألا تطرَحُه، فقال –صلوات الله وسلامه عليه–: لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها[1].

ما أعظم الله وهو القائل –سبحانه–: "وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءوفٌ رَحيمٌ" النور: ٢٠.

في غزوة تبوك جاء قول الله –سبحانه وتعالى– كما في سورة التوبة: "لَقَد تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهاجِرينَ وَالأَنصارِ الَّذينَ اتَّبَعوهُ في ساعَةِ العُسرَةِ مِن بَعدِ ما كادَ يَزيغُ قُلوبُ فَريقٍ مِنهُم ثُمَّ تابَ عَلَيهِم إِنَّهُ بِهِم رَءوفٌ رَحيمٌ" التوبة: ١١٧، وهكذا في نحو عشر آيات من القرآن الكريم سمى الله نفسه –سبحانه وتعالى– بالرؤوف، ويقترن دومًا باسم الرحيم.

الرؤوف صيغة مبالغة على وزن فعول من الرأفة.

الرأفة: هي الرحمة وزيادة؛ هي أخص منها، هي أرق منها، هي رحمة في كمالها واختصاصها واشتدادها، فكل رأفةٍ رحمة وزيادة، وكل رؤوفٍ رحيمٌ ولابد وليس العكس، فما كل رحمةٍ تكون رأفة، ولا كل رحيمٍ يكون رؤوفا، من هنا يأتي اسم الرؤوف مع الرحيم مقترنان في كتاب الله الكريم.

والله –سبحانه وتعالى–سمى نفسه الرؤوف، وقد قال الإمام الطبري –رحمه الله–:"أي: أن الله ذو رأفةٍ بجميع عباده" قال: "والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع عباده في الدنيا ولبعضهم في الآخرة" وصدق –رحمه الله–.

[1] روايات الحديث هنا

فإن الله –عز وجل–لرأفته؛ رحم عباده وخصّهم بهذه التكاليف، ولرحمته؛ دعاهم إلى توحيده وعبادته، وكتب لهم لرأفته –سبحانه–؛ جنة عرضها السماوات والأرض. لرأفته؛ فتح لهم باب التوبة، وعفا عنهم، وتجاوز عن مُسيئهم، وكفّر عن سيئاتهم. لرأفته؛ جعل للحسنات بابًا تُضاعَف فيه الأجور، وللمحسنين أبوابًا تتعدد منها إلى الجنان مداخلهم.

الله –عز وجل–رؤوف رحيم، والمعوَّل على هذه الرأفة والرحمة، وهو القائل –سبحانه–: "وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءوفٌ رَحيمٌ". الله ربنا الرؤوف –سبحانه وتعالى– شَرَع لعباده من العبادات والتكاليف ما هو في حدود طاقتهم، ومن رأفته لم يحملهم ما لا يطيقون، وفي خواتيم سورة البقرة "رَبَّنا لا تُؤاخِذنا إِن نَسينا أَو أَخطَأنا" قال الله: قد فعلت، "رَبَّنا وَلا تَحمِل عَلَينا إِصرًا كَما حَمَلتَهُ عَلَى الَّذينَ مِن قَبلِنا" قال الله: قد فعلت، "رَبَّنا وَلا تُحَمِّلنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ" البقرة: ٢٨٦، قال الله: قد فعلت، كما في صحيح الإمام مسلم.

إن ربنا الرؤوف –سبحانه وتعالى– من رأفته بنا أمة الإسلام في تشريع الأحكام؛ أن خفف عن المريض والمسافر والعاجز والمعذور، الواجبات تسقط بالعجز ولا يكلف الله نفسًا إلا وُسعها، وجعل من الرُخَص في أحكام الشريعة ما يخفف عنه العنت، ويزول عنه التكليف بالمشقة، ويجد العباد سعةً وفسحةً في امتثالهم أمر ربهم والوقوف عند حدوده.

لأن ربنا رؤوف –سبحانه وتعالى–؛ فرأفته تنالنا ونحن نعبده –جل جلاله–، رأفته تغشانا ونحن نتقرب إليه، بل رأفته تدركنا ونحن ربما كنا على أعتاب المعاصي، وعلى خطى الخطايا نقترف الذنوب ونجترح السيئات، نعود إليه ونستغفره ونتوب إليه ونؤوب، ونتلمس أبواب الرضا، ونطرق أبواب المغفرة، ونحن نعلم أن الله –جل جلاله– لعظيم رأفته ورحمته يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل.

الله ربنا رؤوفٌ رحيم، صفةٌ تبعث في النفوس المؤمنة حبها لله وشوقها وعظيم تعلقها بكرم الله، إي والله، يستوي في ذلك الطائعون والعصاة على حدٍ سواء، الكل يجد في صفة الرأفة حنانًا ودفئًا ورحمةً تغشاه فيقترب من ربه أكثر وأكثر.

الرؤوف ربنا –سبحانه وتعالى– يتمنن على عباده، وهو –جل جلاله– يجعل من اسمه العظيم هذا الرؤوف بابًا يدخل منه العباد، يقبلون على ربهم، يستمطرون من رأفته، ويلتحفون من عطاياه؛ ما يجعلهم على طريق العبودية أكثر صدقًا في استمساكهم بشرعه وثباتهم على طريق العبودية لله رب العالمين.

أمَا إن الله رؤوف! لكنّ رأفته ليست تحمل العبد أبَدًا على جرأةٍ وقحةٍ يكسر بها باب الأدب مع الله معوّنًا على رأفته، أمَا إن الذنب ذنب، والمعصية معصية، والخطأ خطأ، ونحن إنما نُعوّل على رحمة الله، ونسير إليه نطلب من رأفته، لكن الذنب حَرِيٌ به أن يجعلنا واقفين عند حدوده، لا أن يجترح المذنب ذنبه، وأن يقترف خطيئته متجرئًا معولًا على رأفةٍ دون ما تَطرّقٍ إلى أبواب المغفرة، هي موازنة يا كرام، فإن الله قد قال: "نَبِّئ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ * وَأَنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأَليمُ" الحجر: ٤٩:٥٠.

فلطفك ربنا ورحمتك، ورأفتك هي أوسع لنا، وعافيتك هي أحب إلى قلوبنا، وامنن علينا بسترٍ جميلٍ وتوبة صادقة نصوح يا أكرم الأكرمين.